# وقفات مع آيات ( 2)

# [سورة ص]

## للشيخ / صالح بن عواد المغامسي - حفظه الله -

درس شهري

يوم الثلاثاء 17/11/1428

بعد المغرب بجامع إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -

بحي العوالي بمكة المكرمة

*هذا التفريغ بإشراف منتدى القطوف الدانية *

----------------------------------------------------------------
وقفات مع آيات (2)
الشيخ/صالح بن عواد المغامسي
----------------------------------------------------------------

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأخرج المرعى ، فجعله غثاءًا أحوى ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله ، بلغ عن الله رسالاته ، ونصح له في برياته ، فجزاه الله بأفضل ما جزا به نبيا عن أمته .

أما بعد : أيها المباركون في هذا البلد الحرام ، هذا هو اللقاء الثاني حول تفسير القرآن العظيم ، والسورة التي نحن بصدد التأمل والتوقف مع بعض آياتها هي سورة ص .

وهذه السورة سورة مكية بإجماع على الأظهر ، وإن خالف في هذا بعض أهل العلم لكن الإجماع منعقد قبل مخالفتهم على أنها سورة مكية .

قال ربنا فيها - وهو أصدق القائلين - :  ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ % بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ % كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ  [ص:1-3] ، أما الحرف "ص" فهذا من فواتح السور التي أثبت العلماء أن المقصود بها شيء عظيم ، لكنهم اختلفوا في تحقيق ذلك المقصود ، والأظهر – والعلم عند الله – أن هذه الأحرف بمثابة ما يُستفتح به كلام العرب ، كما يقولون العرب : ألا ، أَمَا ، أمَا والله ، ألا والله ، فهذا – والعلم عند الله – أن هذه الحروف أشبه بهذا الأمر .

ثم قال ربنا :  ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ  [ص:1] ، لا خلاف أن الواو هذه واو القسم ، وأن الله جل وعلا أقسم هنا بالقرآن ، والقسم هنا قسم تنويه وإظهار لشرف القرآن ؛ بدلالة أن الله قال بعدها :  ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ  [ص:1] ، وكلمة ذو إنما تستخدم في الإضافة إلى الأمر الذي هو ذو بال وذو شأن عظيم ، وكلمة الذكر تحتمل معنيين :

المعنى الأول : أن يقصد بالذكر هنا الشرف ؛ ويدل عليه قول اللهِ جل وعلا في سورة الزخرف :  وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ  [الزخرف:1] ، أي : وإنه لشرف لك ولقومك .

والأمر الثاني : أن يكون المعنى ، الذكر هنا معناه التذكير ؛ أي : أن القرآن يذكر الناس بالعلم الذي فيه منفعتهم ، كالعلم بأسماء الله وصفاته جل وعلا ، والعلم بالأحكام الشريعة ، والعلم بالجزاء والبعث والنشور .

ولا يَمنع أن يكون المعنى حامل للمعنيين ؛ لأن من قواعد التفسير (أن الآية إذا احتملت معنيين لا تعارض بينهما جاز حملهما على هذين المعنيين ما لم تكن هناك قرينة صارفة لأحد المعنيين دون سواه) .

قال ربنا :  ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ % بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ  [ص:1-2] ، بل هذه للإضراب ، أي : للانتقال ، وبل تأتي للإضراب اتفاقا ، لكنها تأتي للإضراب إما للانتقال ، وإما للانتقال والإبطال في آن واحد ، ويعرف ذلك بأن تنظر فيما بعدها وما قبلها ، فإن كان ما قبلها من كلام أهل الإشراك وكلام أهل الكفر ، فإن ما بعدها يكون إضرابا إبطاليا له ، وأما إن كان كلا الأمر مسند لله جل وعلا فيكون الإضراب هنا إضراب انتقال ، فهنا في قول الله جل وعلا :  ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ  [ص:1] ، فالقرآن ذي الذكر هذا قسم من الله ، فقول الله جل وعلا :  بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ  [ص:2] محال أن يكون إضراب إبطال ؛ لأن كلمة "والذكر" لا يمكن إبطالها ؛ لأن المتكلم بها هو الله جل جلاله ، فهي مسندة إلى رب العزة ، إلى من تكلم بالقرآن أصلا ؛ وهو الله جل جلاله ، فعلى هذا يصبح المعنى  بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ  [ص:2] ، هذا نوع انتقال في الكلام ، وهذا كانت تعرفه العرب في كلامها ، ومن تأمل المعلقات وجد أنهم يبدؤونها بذكر الديار والأحبة والفراق ثم ينتقلون إلى مرادهم ، فهذا من جنس كلام العرب الذي تعرفه في أساليبها .

لكن العلماء اختلفوا هنا في جواب القسم في قول الله جل وعلا :  وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ  [ص:1] على سبعة أو ثمانية أقوال ، والأظهر عندي - والعلم عند الله - أن جواب القسم محذوف تقديره :  ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ % بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ  [ص:1-2] يصبح الأمر قبلها ليس الذي يقولونه صواب ، أي ما حكاه أهل الكفر في القرآن ليس بصواب أبدًا ، من زعمهم أن القرآن هذا أساطير الأوليين .

قال ربنا :  وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ % بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ  [ص:1-2] ، ثم قال الله :  كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ  [ص:3] ، يخبر الله جل وعلا أن أمماً عدة لا يمكن حصرها ، لا يحصرها إلا خالقها كفرت بالله من قبل ، ومع ذلك أهلكها وأبادها ، كما قال ربنا تبارك وتعالى :  ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ  [هود:100] أي منها قائم ظاهر يراه الناس كالحجر ديار ثمود ، ومنها حصيد أي لم يبق لها أثر وليس لها وسم أو أمر أو علامة تدل عليها أُبيدت بالكلية ، فقال ربنا جل وعلا هنا :  كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ  [ص:3] ، والصناعة النحوية ضرورة في علم التفسير ؛ فكم هنا خبرية وليست استفهامية ، والفرق الجوهري بينهما أن كم الخبرية لا تحتاج إلى جواب إنما يراد بها الإخبار عن الكثرة ، قال الفرزدق :

كم عَمَّةٍ لك يا جرير وخالةٍ فَدْعَاءَ قد حلبت علي عِشَارِي

فهو لا يريد جوابا إنما يعير جريرا بكثرة من يخدمه – يخدم الفرزدق – من خالات جرير وعماته .

فهنا قول الله جل وعلا :  كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ  [ص:3] ليس المراد منه أن يُجاب ويُعد تلك القرون ، لكن الإخبار عن الكثرة وهذا أوقع في النفس ، فالخلاف الجوهري ما بين كم الخبرية وكم الاستفهامية ؛ أن كم الاستفهامية تحتاج إلى جواب ، وكم الخبرية لا

تحتاج إلى جواب ، ويتفقان في أن كلا منهما يصدر به الكلام ، ومبني غير معرب .

قال ربنا : ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا ﴾ [ص:3] من الذي نادى ؟ من أُهلكوا ، متى نادوا ؟ نادوا حين حلول العذاب قال ربنا : ﴿ فَنَادَوْا ﴾ ، لكن قال الله بعدها : ﴿ وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص:3] لات هذه أصلها لا ، "لا" تعمل عمل ليس ، يقصد بها النفي وتعمل عمل ليس ، والتاء فيها ليست للتأنيث وإنما زائدة ، وهي تدخل في نفي الأزمنة ، فقول الله جل وعلا : ﴿ وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص:3] اسم لات محذوف والتقدير : ولات الحين حين مناص ، أي : ليس الوقت وقت هروب ولا نجاة ولا منجى ؛ لأنهم لا ينادون ولا يستغيثون إلا إذا حل بهم العذاب ، وقد مضت سنة الله جل وعلا في خلقه أن العذاب إذا حل لا يقبل حينها توبة تائب ، إنما كان من استثناء الله لقوم يونس قال الله جل وعلا : ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [يونس:98] ، أما غيرهم قال الله جل وعلا عنهم : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ ﴾ [غافر:85] أخبر الله جل وعلا عن إيمانهم قال : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ [غافر:85] أي : مضت سننه جل وعلا في خلقه أن العذاب إذا حل ونزل لا ينفع ، فهنا قال الله : ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص:3] .

ثم ذكر الله جل وعلا حال كفار قريش – والسورة مكية – قال الله جل وعلا : ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص:4] ثم جعلوا كِذْبه بقولهم : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:5] .

كلمة لا إله إلا الله كلمة كريمة على الله جدًا ، وليس هناك كلمة أكرم على الله من هذه الكلمة ، فما خلقت السماوات والأرض ، وما قام سوق الجنة والنار ، ولا كان يوم العرض ؛ إلا ليوحد جل وعلا وحده

ويعبد وحده دون سواه ، لكن هؤلاء القرشيين آن ذاك - كفار مكة الأوليين – لم يقبلوا هذا وجعلوا القول بهذا القول كذبًا وسحرًا وافتراءًا كما قال الله جل وعلا عنهم – حكاية عنهم – أنهم قالوا : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:5] فالسور المكية تعنى بثلاثة أمور :

بيان حال الإشراك الذي عليه كفار مكة.

بيان تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم .

بيان إنكارهم للبعث والنشور .

وهذه السورة الكريمة استوفت هذه المواقف الثلاث كلها .

قال الله جل وعلا : ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ % أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:4-5] ثم قالوا : ﴿ مَا سَمِعْنَا ﴾ وما هنا نافية ﴿ بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ [ص:7] والملة الآخرة هنا تحتمل معنيين :

المعنى الأول : أنهم يقصدون ملة النصارى ؛ لأنه ليس بين النبي ﷺ وعيسى نبي ، وهذا القول هو قول الجمهور ، ودين النصارى الذي وصل إلى القرشيين كان يقول بالتثليث ، هذا قول ، وعليه الجمهور .

قول آخر : أن يكون المقصود بقول الله جل وعلا عن كفار قريش ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ [ص:7] أي ملة آبائهم وأجدادهم ، ويؤيد هذا المنحى ؛ أن كفار قريش قالوا لأبي طالب عند موته : (أترغب عن ملة عبد المطلب) ، فأصحاب هذا القول - أي القول الثاني – هذا دليلهم ، أن الكفار قالوا لأبي طالب : (أترغب عن ملة عبد المطلب) ، فالمقصود هنا قالوا إن قول الله جل وعلا حكاية عن هؤلاء الكفار : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ [ص:7] يقصدون ملة آباءهم .

وقلت : إن الجمهور على أن المقصود بالملة الآخرة دين عيسى ابن مريم فيما وصل إليهم ؛ لأن دين عيسى ابن مريم وصل إليهم محرفا وهو القول بالتثليث .

 مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلاقٌ [ص:7] أي : يزعمون أن ما جاء به محمد  كذب وافتراء ليس له شبهة وليس له دعوى في نظرهم  إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلاقٌ [ص:7] ، ثم ذكروا مانعًا آخر ؛ وهو الحسد  أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا  [ص:8] ، فجعلوا حسدهم لنبينا  مانعا في قبول الدعوة ، والمرء عياذا بالله أحيانًا يمنعه حسده أن يقبل الحق ؛ فالوليد بن المغيرة كان قبل بعثة النبي  معظمًا في قومه ، فلما أرادت قريشا أن تعيد بناء الكعبة وقرروا في المقام الأول هدمها ، استعظموا أن يبدؤوا في نقض حجرها ، ولم يجسر منهم أحد أن يقدم على أن ينقض الكعبة ، فقدم الوليد بن المغيرة – هذا قبل النبوة ، قبل بعثة نبينا  - فقدم إلى الكعبة حافي القدمين ، وقال : (اللهم إنك تعلم أن لا نريد هدمه إلا لنعيد بناءه) ، ثم بدأ ينزع أحجار الكعبة ويخلعها من مكانها ، فلما رأت قريش أن الوليد لم يصبه أذى ، تجاسرت واجتمعت وساعدته وأعانته على هدم الكعبة ، مع هذا الشخصية التي تراها الآن قُدر أن يكون حيا يوم بعث النبي  ، فغلبه الحسد ؛ كيف ينبأ نبينا  ويبعث ويرسل وهو شاب يومئذ قد استوفى الأربعين ، وهو - أي الوليد – له من المال والبنين والعزة والمنعة في قرش كلها وفي خارج قريش ، ومع ذلك لا يأتيه الوحي ويأتي غيره ؟ قال ربنا :  ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً % وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً % وَبَنِينَ شُهُوداً % وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً %  ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ % كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً  [المدثر:11- 16] ، هنا قال الله جل وعلا :  أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ  [ص:8] قلت في الأول : إن بل يؤتى بها للإضراب الانتقالي وإضراب الإبطال ، هنا جاء إضراب الإبطال ، قال الله جل وعلا :  أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا  [ص:8] هذا قول من ؟ قول الكفار ، قال الله بعدها :  بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي  [ص:8] أي أن

المانع الحقيقي هو شكهم في القرآن ، شكهم في أن هناك بعث ونشور ، فيسمى هنا الإضراب إضراب إبطال .

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ % أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ % أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ % جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ [ص:8-11] ، يستقر عقلا أن من يقدر على الأقوى يقدر على الضعيف ، من يقدر على الأمر الممتنع يقدر على الضعيف ، فالله جل وعلا هنا يقول : إن هؤلاء كفار مكة ليسوا بشيء إذا ما قيسوا بمن مضى من الأمم ومن كان قبلهم ، ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ [ص:12] ذكر الله جل وعلا إخوان لوط وأصحاب الأيكة ثم قال : ﴿ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ [ص:13] أي من مضى من عاد وثمود وفرعون وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك هم الأحزاب حقا ، أولئك هم الممتنعون ، فلما ظهر لهم جليا أن الله أهلكهم ، لن يكون إهلاك كفار مكة بأعظم من هؤلاء ، ويعرف الحصر هنا أن العرب إذا عرفت اسميين متتابعين في غالب أمرها تنعني – بلاغيا – بالتعريف ؛ ما يسمى بالحصر الإستدعائي ، لأن أولئك معرفة قطعا لأنها اسم من أسماء الإشارة ، وأسماء الإشارة أحد المعارف الست ، والأحزاب معرفة باللام ، واللام هنا كما أفادت التعريف أفادت عند البلاغيين يسمونها لام الكمال ، فقول الله جل وعلا : ﴿ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ [ص:13] أي أولئك القوم حقا ، فإذا كان هؤلاء عجزوا أن يردوا عن أنفسهم عذاب الله وسخطه ،فمن باب أولى أن يعجز هؤلاء قال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ [ص:13] .

ثم ذكر الله تعالى نبأ نبي من أنبياءه ؛ هو داود عليه الصلاة والسلام قال ربنا : ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ [ص:17] هذه اصبر جاءت متعدية بحرف الجر على في موضعيين في نفس السورة ، في أول السورة قال الله : ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ﴾ [ص:6] وهنا قال الله لنبيه : ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ [ص:17] ، لكن على في

الموضعيين تختلف ، فعلى في الأولى التي ذكر فيها قول أهل الإشراك هذه على تفيد الاستعلاء ؛ أي قالوها من منطق تجبر وتكبر ، أما في قول الله جل وعلا : ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ [ص:17] فهنا لا تفيد الاستعلاء تفيد المعية ؛ أي اصبر مع ما يقولونه لك ، وليست على بمعنى الاستعلاء .

﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص:17] ورد عند البخاري في التاريخ – وليس في الصحيح – من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ إذا ذكر داود قال : "كان داود أعبد البشر" صلوات الله وسلامه عليه ، قال الله عنه هنا : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴾ [ص:17] أي ذا القوة التي جعلها في طاعة الله ﴿ إِنَّهُ ﴾ أي داود ﴿ أَوَّابٌ ﴾ أي كثير الأوبة والرجعة والتوبة إلى ربه ، ثم قال الله : ﴿ إِنَّا ﴾ [ص:18] وهي عائدة إلى رب العزة ، ويراد بهذا الجمع في إنا التعظيم ، ولأن جاز أن يقولها أحد من الخلق فالتعظيم في حقه مقيد ، والتعظيم في حق الله مطلق ، ﴿ إِنَّا ﴾عائدة على رب العزة ، ﴿ سَخَّرْنَا ﴾ ولا يقدر على هذا إلا الله ، ﴿ مَعَهُ ﴾ أي مع داود إكراما له ، ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ ﴾ ماذا يصنعن ؟ ﴿ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ ، والتسبيح من أشرف العبادات ؛ قال الله تبارك وتعالى في كتابه العظيم : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الاسراء:44] فالله جل وعلا يسبح له الحوت في بحره ، والطير في وكره ، ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الاسراء:44] ، قال الله هنا : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ ﴾ [ص:18] من بعد صلاة العصر إلى المغرب ﴿ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ أي من طلوع الشمس إلى الضحى وقت أن تضحى الشمس ، وقد قال ﷺ نبينا كما عند مسلم في الصحيح قال : " من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة ، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثله أو زاد عليه " فقال الله جل وعلا هنا : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ [ص:18] ، ومع الجبال قال الله جل وعلا : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص:19] أعطي عليه الصلاة والسلام صوتا عذبا جعله في طاعة الله ،

يتلو الزبور فتسمعه الطير فتقف وتردد معه صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا تسخير وفضل عظيم على هذا العبد الصالح ، ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ % وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ [ص:19-20] ولا يمكن أن يقام ملك إلا على بينة من الأمر على وزراء وجنود ودولة وحشم وخدم ، وهذا كله أعطاه الله داود قال الله : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ [ص:20] بعض العلماء يقولون إن فصل الخطاب أن داود أول من قال أما بعد ، وهذا بعيد بل إن القول به غريب لأن داود ﷺ لم يكن عربيا حتى يستخدم أما بعد ، وإنما المشهور أن أول من قالها سحبان بن وائل أو قس بن ساعدة الإيادي الخطيبان المعروفان في العرب ، لكن بعيد جدا أن يكون معنى فصل الخطاب أن يكون داود هو أول من قالها ، لكن معنى فصل الخطاب أنه أعطي قدرة على الحكم بين الناس حينما يتنازعون إليه صلوات الله وسلامه عليه ، ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ % وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ % وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ [ص:18-20] .

ثم قال الله : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ [ص:21] من حيث الصناعة اللغوية كلمة الخصم تطلق على المفرد وعلى المثنى وعلى الجمع ، بل لا يكون خصما مفردا مثلها مثل كلمة ضيف ؛ لأن الخصم لا بد له من خصيم معه ، لكن كلمة ضيف تطلق على المفرد والمثنى والجمع ، يقول الله : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ ﴾ [ص:21] والخبر لنبينا ﷺ ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ [ص:21] وهذا يدل على أن محراب داود كان مرتفعا ، أي مكانا في المنزل اتخذه داود يعبد الله فيه ، ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ % إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾ [ص:21-22] وقد يقول قائل كيف نبي الله ويفزع ؟

إن أنبياء الله مطالبون أن يحافظوا على حياتهم ؛ لأن في حياتهم نفع للناس ، ولهذا كان النبي ﷺ يقول : "من يحرسني الليلة ؟" "هل من عبد صالح من أمتي يحرسني؟" فمرة حرسه أبو أيوب ، ومرة حرسه سعد

بن أبي وقاص ، وكان يحرسه العباس ، فلما أنزل جل وعلا قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة:67] لم يعد ﴿ بعد ذلك يتخذ أحدًا يحرسه .

فنعود إلى الآية ، ففزع عليه الصلاة والسلام خوفا على حياته ؛ لأن حياته فيها نفع لمن ؟ لغيره ، ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ % إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ [ص:21-22] ، واهدنا إلى سواء الصراط ، جاء الفعل اهدنا متعدي بحرف الجر إلى ، رغم أنه في سورة الفاتحة الله يقول : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:6] وليس فيها إلى ، فإذا كان الناس على الهداية فلا حاجة أن تقول إلى ؛ لأن المقصود الزيادة ، وإما إن كان الناس على غير الأمر تأتي بإلى ؛ لأن المطلوب أصل الأمر ، فهذان الخصمان لم يكن بأيديهما أصل الأمر ، فلما طلبا قالا : ﴿ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ [ص:22] ، ثم تكلم أحدهما قال : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ ﴾ [ص:23] وكلمة أخي في القرآن :

تأتي الأخوة بمعنى الشقيق ، ومنه قول الله جل وعلا : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي % هَارُونَ أَخِي ﴾ [طه:29–30] فهارون كان شقيقا لموسى .

وتأتي أخي بمعنى الأخوة في النسب ، ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾ [الأعراف:65] أي أخوهم في النسب .

وتأتي أخ بمعنى الشريك والخليط ، وهي المقصودة هنا ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ [ص:23] أي شريكي ؛ بدلالة أنه قال بعدها : ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ ﴾ أي الشركاء ﴿ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [ص:24] .

وتأتي أخي بمنى شبيهي ، قال الله جل وعلا : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [الأعراف:65] أي شبيهتا في الكفر ، وليس أختها في النسب ﴿ كُلَّمَا

دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا  أي شبيهتا في الكفر ، في العمل ، في الفسق ، في الفجور .

فقول الله جل وعلا هنا :  إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ  [ص:23] غالب الظن أن المقصود به الشريك ، لكن لا يمنع أن يكون الأخ في النسب والشريك في آن واحد .

 إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ  [ص:23] حمل بعض العلماء كلمة نعجة هنا على أنها امرأة ، وهذا بعيد ، وإن صح في لغة العرب أنهم جاء في بعض أشعارهم كما عند عنترة وعند غيره إطلاقها على المرأة ، لكن الأصل إمرار ظاهر القرآن على ما هو عليه

 إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا  أي ضمها إلي  وَعَزَّنِي  أي غلبني وقهرني  فِي الْخِطَابِ  [ص:23] ، فقال داود  :  قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ  [ص:24] ثم قال :  وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وهذا مشاهد محسوس  إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا  هذه للإبهام تدل على الكثرة  وَقَلِيلٌ مَا هُمْ  وقد سمع عمر رضي الله عنه وأرضاه رجلا يقول (اللهم أدخلني في الأقلين) فتعجب عمر من دعاءه قال : ( إني سمعت الله يقول :  إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ  [ص:24] ، وسمعت الله يقول :  وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ  [هود:40] ) وذكر كلمة قليل في القرآن في غالب أوضاعه محمود ، فقال الله تعالى هنا على لسان داود :  وَقَلِيلٌ مَا هُمْ  [ص:24] يقول بعض العلماء – وإن كنت هذا لا أجزم به – : إن داود تسرع في الإجابة فحكم دون أن يسمع قول الآخر ، فلما حكم قالوا : إن هذين الخصمين كانا ملكين اختبارا له ، واحتجوا بأن الله قال بعدها :  وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ  أي اختبرناه ، وظن هنا بمعنى علم  وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ  [ص:24] خر راكعا بمعنى سجد صلوات الله وسلامه عليه ، هل هذه السجدة من عزائم السجود أو من غير عزائم

السجود ؟ الأظهر أنها من عزائم السجود ، لأن الساجد هنا نبي ، والله لما ذكر الأنبياء في الأنعام قال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:90] ، إذا فبهداهم اقتده مع أن الذي سجد هنا داود ، يسمى دليل مركب من جهتين ، فالآية لا تحمل نص داود لكن لما قال الله جل وعلا : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾ [ص:24] فاخبر الله أن داود سجد في هذا الموضع ، وعلمنا من سورة الأنعام أن الله قال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:90] أننا أمرنا بهدي الأنبياء ، علمنا أن هذه الآية من عزائم السجود ، ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ % فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص:24-25] .

ثم قال الله ذكر خبر سليمان ، وخبر أيوب ، وخبر غيرهما من أنبياءه ورسله ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص:45] ، وهذا تكلمنا عنه كثيرا في لقاءات مضت ،ودروس خلت ، هنا أو هناك .

ثم قال الله جل وعلا قبل أن يأتي إلى قصة سليمان ، مابين خبر داود وسليمان قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص:27] ، إن من أعظم الدين أن يعلم المرء أن الله جل وعلا منزه عن العبث ، وإذا علم المرء أن الله منزه عن العبث وأن الشأن جد ؛ اجتهد في العبادة وطاعة الله ، قال الله : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:115] ، ولما ذكر الله الصالحين من خلقه والمتقين من عباده أخبر أنهم إذا قاموا قالوا حال قيامهم : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران:191] ، فالله جل وجلاله - أيها المبارك - منزه عن العبث ، وعلى أن يخلق باطلا ، فإذا علمت أن هذه الدنيا القائمة على حياة وموت ، وبعث ونشور ، وتكليف وجزاء ، علمت أن الله منزه أن

يخلق هذا باطلا ، فمنها ينجم أن المرء يستعد لطاعة الله وإلى لقاء الله .

قال الله جل وعلا بعد ذلك بعد أن ذكر صفوة رسله التي بيناه ، قال جل وعلا :  إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ  [ص:70] ثم ذكر قضية إبليس وسجود آدم على ما يلي :-

قال الله جل وعلا :  إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ  [ص:71] ، الملائكة خلق من خلق الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهم يومئذ صفوف بين يدي ربهم ، وكان إبليس يحمل في قلبه سريرة خبيثة ، لكن متى يعرف من في قلبه سريرة طيبة أو من في قلبه سريرة طيبة ؟ عند التكليف ، كيف يعرف من في قلبه سريرة سيئة أو سريرة حميدة ؟ عند التكليف ، فهو مندرج مع عالم الملائكة ، وعالم الملائكة لا تكليف عليهم ، إنما يسبحون الله جبلة ، فلما كانوا يسبحون الله جبلة ، خلق الله آدم وقال لهم جل جلاله قبل أن يخلقه :  إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ  [ص:71] ، ومن طين هذه إحدى المراحل التي بينا أن آدم خلق من مرحلة ترابية ، ثم طينية ، ثم فخارية ، قال ربنا للملائكة :  فَإِذَا سَوَّيْتُهُ  [ص:72] أي أتممت خلقه ،  فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ  [ص:72] فأمر الله جل وعلا الملائكة بالسجود لآدم في قوله جل وعلا :  فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ  [ص:72] ، فلما سوى الله أبانا آدم قال ربنا :  فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ  [ص:73] ، فكلمة "كلهم" أفادت أن أحدا من الملائكة ما خرج عن هذا الأمر كلهم سجدوا ، وكلمة "أجمعون" أفادت أنهم سجدوا مع بعضهم ، أي في حالة واحدة ، سجدوا جميعا في وقت واحد ، فما الذي أفادته كلمة كل ؟ أنه لم يبق ملك لم يسجد ، والذي أفادته كلمة أجمعون أنهم سجدوا في وقت واحد ، قال الله جل وعلا :  فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ % إِلَّا إِبْلِيسَ  [ص:73-74] هذا الاستثناء يسمى استثناء منقطع فإبليس ليس من جنس الملائكة ،  إِلَّا إِبْلِيسَ  - في آية الكهف -  كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ

أَمْرِ رَبِّهِ  [الكهف:50] ، قال الله جل وعلا :  إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ % قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ  [ص:74-75] من القائل ؟ رب العالمين  أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ % قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ  [ص: 75-76] الله جل وعلا أخبر أنه عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال ، وقال بعدها :  فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا  [الأحزاب:72] ، لكن فرقٌ ما بين إيباء إبليس وإيباء السماوات والأرض والجبال ، وهذا من نفائس العلم .

أما أصل المسألة ؛ فإن الخطاب لإبليس كان فرضا ، والخطاب للسماوات والأرض كان عرضا ، أما الكلام للسماوات والأرض كان عرضا ، أما الخطاب لإبليس كان فرضا ، هذا واحد .

امتناع إبليس كان استكبارا  قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ  [ص: 76] ، أما امتناع الأرض والسماوات والجبال كان استصغارا ، بمعنى أنهم استصغروا أنفسهم أن يقبلوا هذه الأمانة ؛ بدليل أن الله قال بعدها :  فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا  [الأحزاب:72] ، فقول الله جل وعلا :  وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا  قرينة على أن امتناع السماوات والأرض والجبال كان استصغارا لأنفسها ، أما قول الله جل وعلا :  أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ  [ص: 76] على أن إبليس كان استكبارا .

فالأول لم يكن عرضا بل كان فرضا ، والثاني لم يكن فرضا بل كان عرضا بنص القرآن  إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً  [الأحزاب:72] .

نعود للآية ، قال الله جل وعلا هنا :  قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ % قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ % قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا  [ص: 75-77] من أي شيء ؟

ليس من الجنة ، آدم ما بعد دخل الجنة ، من السماء هذا قول وهو قوي ، من رحمة الله ، ولا يمكن أن يعاقب أحد بشيء أعظم من أن يطرد من رحمة الله ؛ لأن إذا وجد أحد لا يرحمه الله فمن الذي سيرحمه ؟ ، وإن وجد أحد طرد من رحمة الله لن تنفعه رحمة أحد كائنا من كان ، فالله وحده - يا بني - لا يضر مع رضاه سخط أحد ، ولا ينفع مع سخطه رضوان أحد ، ولا يُجْدِي مع لعنته وغضبه رحمة أحد ، ولا يضر مع رحمته لعنة أحد أو غضبه ، فالشأن كل الشأن أن يرحمك الله ؛ ولهذا قال سيد الخلق  "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته" ، فكل فضل تراه في نفسك هذا من رحمة الله جل وعلا بك ، فقول الله جل وعلا لإبليس :  فَاخْرُجْ مِنْهَا  [ص: 77] هذا ، أي من رحمتي ، أو من السماء وهو قوي ، أو من المنزلة التي أنت فيها وهذا كذلك قوي ، لكن حتى لو قلنا إنها المنزلة أو السماء ؛ فالسكنى في السماء وتلك المنزلة التي كان بها إبليس هي أصلا من رحمة الله ، وكلما أظهر العبد افتقارا إلى ربه أنه محتاج إلى رحمة الله أدركته رحمة الله ، فإذا وقعت في القلب ولو ذرة أنك مستغن عن الله نأت عنك وقصت رحمة الله ، أيوب عليه السلام مكث في البلاء ثمانية عشر عاما ، ثم رد الله إليه عافيته ،  ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ  [ص: 42] ، فبعد أن رد إليه أهله وأصبح ثريا وسيدا ، رأى رِجْل جراد من ذهب – رِجْل جراد أي جمع من الجراد – فهبط عليه ، فلما هبط عليه أخذ – وهو نبي الله الثري – يضع الجراد في ثوبه ، يجمعه في حجره ، فناداه الله : (يا أيوب ألم أكن قد أغنيتك عما ترى ؟) قال : (بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن رحمتك ) ، ولهذا أمرنا في الصيام أن نبادر بالإفطار ؛ لأن الإنسان إذا بادر بالإفطار كأنه يخاطب ربه بلسان حاله : ما أفقرني يا رب إلى أن تطعمني وتُسْقيني ، وفي كل شأنك أظهر فقرك إلى ربك لعل الله جل وعلا أن يرحمك ، ولا تستدر رحمة الله بأعظم من الاستغفار ؛ قال الله جل وعلا :  لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ  [النمل: 46] ، نستغفر الله ونتوب إليه .

قال الله جل وعلا :  قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ  [ص: 77] أي ملعون ،  وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي  [ص: 78] زيادة على الإخراج  إِلَى يَوْمِ الدِّينِ % قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي  [ص: 78-79] أمهلني  إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ  [ص: 79] ، تأتي أحيانا رسائل بالجوال يقول بعض الناس فيها : إن الله قد استجاب لإبليس ، ويحتجون بهذه الآية ، وليس فيها احتجاج ؛ لأن إبليس قال :  قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ % قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ % إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ  [ص: 79-81] ، فجرده الله من القدرة ، وجعل المشيئة له وحده جل وعلا ، فحتى الوقت الذي اختاره إبليس لم يقبله الله ، فإبليس طلب أن يكون حيا إلى يوم البعث ، أي لا يدركه الموت بالكلية ، ولا يدخل فيمن يصعق عند النفخ ، فقال له الله :  قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ % إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ  [ص: 80-81] والوقت المعلوم هو النفخة الأولى .

 قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ  [ص: 82] ، وقال في موقف آخر حكاه الله في سورة أخرى قال :  وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ  [الأعراف:17] هذا ليس علم غيب هذا ظن ، من الذي ظن هنا ؟ إبليس ، هل أصاب في ظنه أو لم يصب ؟ أصاب ؛ والدليل أنه أصاب ما تراه من واقع الناس ، لكن أعظم دليل على أن إبليس أصاب هو أن الله أخبر أن إبليس أصاب قال الله جل وعلا في سورة سبأ :  وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [سبأ: 20] ، هنا يقول الله جل وعلا :  قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ % قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ % إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ % قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ % إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ  [ص: 79-83] من هم المخلصون ؟ هذه فضل عظيم يؤتيه الله من يشاء من عباده ، لكن من صدق مع ربه في سريرته وفي نيته وتمثل قول الله جل وعلا :  يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ  [التوبة:119] كان من عباد الله المخلصين ، ومن أعظم عباد الله المخلصين أنبياءه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وفي الذروة منهم نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

قال الله جل وعلا : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ % إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ % قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ % لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: 82-85] ، قلنا مرارا إن النيران ثلاثة :-

نار تحرق ولها نور ، وهي نار الدنيا .

ونار تحرق وليس لها نور ، وهي نار جهنم .

ونار لا تحرق ولها نور ، وهي النار التي رأها كليم الله موسى عند جبل الطور .

تكلم الله جل وعلا هنا عن جهنم ، وقد وعد الله جهنم أن يملأها ، فقال الله جل وعلا هنا : ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ % لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: 84-85] .

ثم قال الله جل وعلا على لسان نبيه : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ % إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [ص: 86-87] أي هذا القرآن الذي أُبِّدْتُ به ، وأنزل علي ، وأتلوه عيكم إنما المقصود الأسمى والأسنى منه أن يكون فيه ذكر للعالمين .

ثم قال الله جل وعلا في خاتمة هذه السورة : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص: 88] ، أخبر القرآن عن غيبيات ، وهذه الغيبيات منها ما أخبر الله أنه سيكون إلى أمد ومنها ما أخبر الله جل وعلا أنه سيكون ما بعد البعث والنشور ، وكل ما أخبر الله عنه أنه سيقع لابد أن يقع لا محالة ، ومن أعظم ذلك البعث والنشور الجزاء بالجنة والنار .

هذا ما تيسر إيراده حول سورة ص ، وقد بقي وقت كثير وقد تعمدت ذلك ، في الإجابة عن أسئلتكم نصل إن شاء الله تعالى إلى مقصودكم بإذن الله .

★ ★ ★ ★

# الأسـئلة

السؤال الأول :- هل تطلق الأخوة على أخوة الجنس مثلا نقول أخوة عامة يدخل فيها الكافر والمسلم لأنه من جنس واحد قال تعالى :  وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ  [الأحقاف: 21] ألا يدل هذا على ذلك ؟

الجواب :- هذه أخوة النسب وليست أخوة الجنس ؛ لأن هودا  من عاد ،  وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً  [الأعراف:85] ؛ لأن شعيبا من مدين من نفس القبيلة .

السؤال الثاني :- هل يجوز أن أقول : اللهم أرزقني الحكمة وفصل الخطاب ؟

الجواب :- جائز أن يقول الإنسان : اللهم أرزقني الحكمة وفصل الخطاب ، ليس في هذا حرج ؛ لأن هذا ليس مما اختص الله به داود ، لكنه لن يرزق كما رزق داود ؛ لأن أنبياء الله في مقام أسمى .

السؤال الثالث :- ما هو تفسير الآية ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ﴾ [الجن: 3] من سورة الجن ؟

الجواب :- الجد هنا بمعنى الحظ والنصيب في أصل اللغة ، والمقصود هنا أن الله جل وعلا منزه في علوه ومقامه تبارك وتعالى أن يكون له ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً ﴾ ، [الجن: 3] ، أن الله منزه في مقامه وعلوه أن يكون له صاحبة أو أن يكون له ولد .

السؤال الرابع :- ما صحة الفتون الذي ذكره ابن كثير في تفسير سورة طه ؟

الجواب :- حديث الفتون يروى عن ابن عباس ، ولكنه غير صحيح سندا ، وهو حديث طويل يتحدث عن أخبار نبي الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ، لكنه غير صحيح سندا ، في بعضه صحة ؛ لأنه تشهد له بعض الأحاديث ، والأظهر أنه مُجمع وينسب إلى ابن عباس على غير أصل .

السؤال الخامس :- يقول الله عز وجل: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ [الأنفال:24] حدثنا فضيلة الشيخ عن معنى هذه الآية .

الجواب :- هذه الآية المقصود منها أنه لا يمكن أن يقع إلا ما أراد الله ، وهي في أصل المسألة تذكير ؛ وذلك أن الإنسان - عياذا بالله -

قد يبيت السيئة ، ويقول : أنتهي منها ثم أتوب ، ولنضرب مثالا – إذا أذنتم – ، قد يكون إنسان على موعد محرم ، وهو يعرف أنه محرم ، وكان قبل أن يعطى ذلك الموعد قد بيت أن يتوب ويؤوب ، فإذا جاء الموعد وظفر به وأصبح في مقدوره أن يصل إليه قال له الشيطان : ابقِ على نيتك الأولى ، ثم اظفر بهذا الموعد ، ثم تب ، ومن تاب تاب الله عليه .

فالله يقول لعباده هنا : قد تقدم على هذا المحرم ثم تريد أن تتوب فيحول الله بينك وبين التوبة ، ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ [الأنفال:24] هذا من أعظم معانيها . والعلم عند الله .

السؤال السادس :- يقول ابن القيم ( في أن افتتاح هذه السورة بهذا الحرف (ص) في غاية المناسبة من أن تفتتح بـ(ق) أو غير ذلك ؛ لأن هذه السورة يكثر فيها تكرار الحرف (ص) في خصمان ، والخصم ، ومناص ، والأبصار، ومثل ذلك في سورة ق يكثر فيها الحرف ق ) نأمل من الشيخ التعليق على ذلك .

الجواب :- هذا رأي له غفر الله له ورحمه ، وابن القيم هو ابن القيم في علمه ومكانته وجلالته ، لكني لا أرى أن هذا الرأي وجيها أبدا .

السؤال السابع :- ما هي أسماء الكتب الأربعة التي من أدمن المطالعة فيها أصبح عالما ؟

الجواب :- الكتب الأربعة التي قال العلماء : أن من أدمن التأمل والنظر فيها - واشترطوا شرطا آخر - وأن يكون ذكيا يصبح عالما ؛ المحلى لابن حزم ، والمغني لابن قدامة ، والسنن الكبرى للبيهقي ، بقي واحد أظنه الاستذكار لابن عبد البر ، هذا الأخير لست متأكدا منه .

السؤال الثامن : لاشك أن من أفضل الأسباب الدافعة لفعل الطاعات وقراءة القرآن والدعاء حسن الظن بالله ، حدثنا قليلا عن حسن الظن بالله .

الجواب :- طبعا ، أنا سأكون معكم واضحا ، الأسئلة يظهر عليها أنها تحاول أن تأخذ الدرس منحى إيمانيا ، وهذا من التكلف الذي نهى الله جل وعلا عنه ، قال الله عن نبيه : ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: 86] ، وأنا ، هذا الدرس درس شهري علمي مقصودي الأسمى منه بيان ما في القرآن من لفتات ، وليس المقصود منه أمور أخر ، فاتركوا الأمور الأخر وشأنها اتركوها لله ، إن أتت سينفعكم الله بها ، وإن لم أتت سينفعني الله بها ؛ حتى لا نُفْتتن ، فلا تسأل أسئلة يغلب عليها الصبغة أن تبحث عن منحى إيماني تروم شيئا ، هذا خطأ حتى في تربيتك لنفسك ، وخطأ في فتنتك لشيخك ، فلا يحسن مثل هذا ، وإنما كن رجلا عادي جدا إذا جئت تُدرس أو إذا جئت تسمع ، فليس المقصود أن تسأل الشيخ سؤالا يغلب على ظنك أن الشيخ سيستعبر أو يبكي إذا أجيب عليه وتفرح أنت ، هذه أمور لا ينبغي أن تقع ، لكن يعني تكلمنا في هذا كثيرا ، أنا أريده أن يكون درسا علميا ، وكلما... أنا أجلس على مثل هذا الكرسي من عشرين سنة ، ما تيسر قلناه ، وما لم يتيسر لم نقله ، وقال الله جل وعلا لنبيه : ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: 86] ، فلا تسأل أسئلة لا علاقة لها بالموضوع وإنما تدور حول شخصية الملقي ، أتركك من صالح ومن غيره ، أنت في بيت من بيوت الله ، علق قلبك بربك يرزقك الله الخشية والخشوع والإنابة إليه من غير أن يتكلم صالح أو غيره عن مسائل إيمانية أو ما إلى ذلك ، اقرأ في القرآن لا حاجة إلى أن تسمع لمثلي ، اقرأ ثناء الله جل وعلا على ذاته العلية ، اقرأ في القرآن كيف أهلك الله من مضى ، اقرأ في القرآن كيف يرحم الله جل وعلا عباده ، هذا هو النعيم الحق لصلاح قلبك ، ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي

صُحُفِ مُوسَى % وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى % أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى % وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى % وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى % ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى % وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى % وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى % وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا % وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى % مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى % وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى % وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى % وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى % وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى % وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى % وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى % وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى % فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى % فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى % هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى % أَزِفَتِ الْآزِفَةُ % لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ % أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ % وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ % وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ % فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا  [النجم: 36-62] ، هذا تقرأه وتقول : سبحان من هذا كلامه ، سبحان من هذا قوله ، سبحان من أنزل هذا القول على نبيه ، سبحان من أنزل هذا القول وتكفل بحفظه ، هذا الذي يحرك القلوب ويحرك الأفئدة ويرزقك الله جل وعلا به الخشوع والإنابة إليه تبارك وتعالى ، أما قول زيد أو قول عمر من الناس ، أو عبرات محاضر أو دمعات فلان أو غير ذلك ، هذه إن صدق فهو له عند ربه ، وإن كذب فالله جل وعلا يحاسبه عليها ، لكن وطن نفسك عن ألا تتلقى شيئا يحرك قلبك أعظم من كلام الله جل جلاله .

السؤال التاسع :- نرجو من فضيلتكم تفسير قوله تعالى :  يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ...  الآية [المائدة: 106] ، والآية التي بعدها  فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً  [المائدة: 107] فإني والله يا شيخ أشكل علي تفسيرها كثيرا ، فنرجو من فضيلتكم تفسيرها ، وجزاكم الله خيرا .

الجواب : هو على العموم تفسيرها يطول ، وهو مشكل كما قلت ، وهي آية حتى النحويون أشكلت عليهم .

لكن جملةً ؛ لا مصيبة مثل مصيبة الموت كما أخبر الله جل وعلا ، والإنسان قد يكون في سفر ويريد أن يوصي ، فيوصي بوصية ويُشهد عليها إثنان ، ثم إن هذين الشاهدين يطلب منهما تحرير تلك الشهادة ، فإذا أرتاب القاضي أو شك أحد من كُتبوا في الوصية في شهادتهما ، فيبدلان بآخران ربما كان لهما اطلاع على تلك الوصية ، هذه جملة ما تدور عليه الآية ، وأرجع إليها في تفسير الحافظ ابن كثير تجد إن شاء الله ما يملي فؤادك ، إن لم تجده تأمل قول القرطبي فيها في "الجامع لأحكام القرآن" .

السؤال العاشر :- قال الله تعالى في سورة التوبة :  هُوَ أُذُنٌ  [التوبة: 61] ما معنى الآية ؟ أو ما تفسير الآية فضيلة الشيخ ؟

الجواب :- هذا المنافقون كانوا يرجفون به ، طبعا لازم تفهم بعقل ، هم أرادوا أن الصحابة إذا سمعوا كلمة منهم لا تصل إلى النبي  ، فكان الصحابة  غيرة للدين إذا سمعوا كلمة من المنافقين ماذا يصنعون ؟ يخبرون النبي  ، فأراد هؤلاء المنافقون أن يرتاعوا في كذبهم دون أن يقوم الصحابة بتبليغ القول ، فقالوا إن النبي  هو أذن ، أي : يسمع لكل أحد ، فقال الله جل وعلا :  قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ  [التوبة:61] ، أي لا يسمع إلا ما فيه نفع للناس ، حتى لو سمع ذمكم وأنكر عليكم فهذا نفع لكم ؛ لأن العبرة بالخواتيم ، العبرة بنهاية الأمر ، العبرة بالمصلحة العامة ، هذا معنى الآية .

السؤال الحادي عشر :- ذكرتكم يا شيخ أن السور المكية تعنى بثلاث أمور ، نرجو منكم أعادتها .

الجواب :- قضية الإشراك ، وتكذيب الرسول ، وتكذيب البعث والنشور ، ولهذا كل نبي دعا إلى هذه الثلاثة ، إلى أن يوحد الله ضد

الإشراك ، وإلى تصديقه وأنه رسول ضد تكذيبه ، وإلى الإيمان أن هناك بعثا ونشورا .

السؤال الثاني عشر :- ما الفرق بين مخلَصين و مخلِصين ؟

الجواب :- اسم فاعل واسم مفعول ، لكنها جاءت باسم المفعول على أنها يظهر منها بيان أنه منة من الله جل وعلا عليهم .

السؤال الثالث عشر :- ما المقصود بقوله تعالى في قصة سليمان   وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ  [ص:34] ، ما هو الجسد يا شيخ ؟

الجواب :- اختلف الناس فيها ، والأظهر ورد في الحديث أن النبي  قال : " إن سليمان قال : لأطوفن الليلة على تسعة وتسعين امرأة تأتي كل امرأة بغلام يجاهد في سبيل الله " ولم يقل : إن شاء الله ، قال عليه الصلاة والسلام : " فما ولدت منهن إلا امرأة ولدت شق غلام " فقالوا إن هذا هو المقصود بقول الله جل وعلا :  وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ  [ص:34] أي : بقوله أنه لم يقل إن شاء الله ،  وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً  ، لكن هل يطلق كرسي على سرير فراش الزوجية ؟ هذا بعيد ، لكن هذا أفضل ما قيل ، وغير ذلك تلقفه الناس عن بني إسرائيل ، وهو غير صحيح .

السؤال الرابع عشر :- ما هو تفسير قوله تعالى :  وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ  [ص:6] ؟

الجواب:- القائل كفار قريش ، والملأ أي : أشراف الناس ووجهائهم ، وهم من كانوا حول أبي طالب يحاولون منه أن يثني ابن أخيه  من أن يدعوا إلى الله ، فلما لم يجدوا عند أبي طالب حاجتهم قال الله :  وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ  [ص:6] أي : ابقوا على ما أنتم عليه  إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ  أي : أن محمدا يريد أن يغير دينكم ويبدل ما أنتم عليه ، فتواصوا بالصبر ، وقلنا : إنهم عبروا بعلى لدلالة الاستعلاء .

السؤال الخامس عشر :- عندما ذكر الله عز وجل للملائكة أنه سيجعل بي آدم مستخلفين في الأرض ، قالت الملائكة :  أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ  [البقرة:30] ، فكيف عرفت ومن أين استنتجت ذلك ؟

الجواب :- قال العلماء إن الأرض كانت قبل بي آدم معمورة بالجن ، وأنه فهمت الملائكة هذا من جنس الجن ، وأن الجن كانت يسفك بعضهم دماء بعض ، وهذا قول للعلماء ولا يعد قطعا في المسألة . والعلم عند الله .

السؤال الخامس عشر :- هل يجب السجود عندما يقع الشخص في فتنة ؟

الجواب :- لا ، لا يجب السجود ، السجود يقع على أحوال :

إما أن يكون للصلاة ، الركن المعروف .

وإما أن يقع سجود سهو .

وإما سجود تلاوة .

وإما سجود شكر ، سجود الشكر عند حلول نعمة أو اندفاع نقمة .

وسجود التلاوة له مواطنه ، وسجود السهو له مواطنه ، وكذلك سجود الصلاة ، ولا يوجد سجود غير هذا .

السؤال السادس عشر :- قد علمنا أن أعظم نعيم في الجنة هو رؤية الله سبحانه وتعالى ، وأن أعظم عقوبة في النار هي الحجب عن رؤية الله تعالى ، فكيف توجهون قولكم : بأن أعظم عقوبة هي الخروج من رحمة الله ؟

الجواب :- إذا خرج الإنسان من رحمة الله فهذا من لوازمه أن لا يرى الله – واضح - ، فيصبح لا تعارض بين القولين ،  كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ  [المطففين:15] .

السؤال السابع عشر :- يقول الله سبحانه وتعالى :  وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ  [الزمر:45] تفسيرها يا شيخ .

الجواب :- هذا إيماني واضح شرحناه في شريط " أهل الله وخاصته " أو في شريط " وما قدروا الله حق قدره " ، ولا داعي لإعادته ، أنت لا يوقعونك في الفخ ، لا تسأل أسئلة إيمانية .

السؤال الثامن عشر :- نرجو أن ترد على ما ورد من إسرائيليات في قصة داود أنه كان عنده تسع وتسعين امرأة .

الجواب :- كان الأنبياء من قبل لا يلزم منهم أن يقفوا عند حد ، قال الله تبارك وتعالى في خبر نبيه  في أنه أباح له النساء :  فَلَمَّا قَضَى

زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً % مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً  [الأحزاب: 37-38] ، فقول الله جل وعلا :  سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ  أي : أن الله شرع وأباح للأنبياء من قبل نبينا  أن يعددوا من النساء ما يطيب لهم .

على هذا ، قضية سليمان ورد فيه تسع وتسعين امرأة ، أما داود لا أعلمه ، أما ما يقوله بعض الناس – كما ذكره بعض المفسرين – عن قضية داود ، فيستحي المرء أن يقولها في مسجد ويصف بها إما مسجد ، فضلا على أن يوصف بها أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم ، كل ما قيل في هذا الأمر باطل ، ولا يصح أصلا روايته ، ولا تجوز في ظني ، وأنبياء الله منزهون عن مثل هذا .

السؤال التاسع عشر :- هل يوجد في تفسير حدائق الروح والريحان للهرري بعض التأويل للصفات ؟

الجواب :- لا أعلم شيئا من هذا ، لا أظنني أن وقفت على شيء من هذا ، ولا أحب أن أسأل عن أحد ، أنا لا أقيم الناس ، أنا في بيت من بيوت الله اذكر بالله وبسنة نبيه  ، ما جئت هنا لأقول إن العالم الفلاني فيه كذا ، والعالم الفلاني فيه كذا ، أنا أقل شأنا ، وعندي من الذنوب والخطايا ما يشغلني على أن أقيم عامة المؤمنين ، فكيف أقيم علماءهم ودعاتهم .

السؤال العشرون :- فضيلة الشيخ نريد تفسير لهذه الآية ، قال الله سبحانه وتعالى :  إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ % رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ  [ص:32-33] .

الجواب :- المشهور أن سليمان - عليه الصلاة والسلام - وعرضت عليه الصافنات من الجياد ، فانشغل بها وهو يعُدها للجهاد في سبيل الله ، ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ ﴾ أي : الشمس ، ﴿ بِالْحِجَابِ ﴾ أي : غابت ، فلما غابت تذكر صلاة العصر ، فقال : ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ ﴾ ، فمحال أن يكون المقصود ردوا الشمس ؛ لأن الشمس لا ترد ، ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ ﴾ أي : الخيل ﴿ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ قالوا : إنه قتلها ، فلما قتلها طاعة لله ، أو بتعبير أوضح لأنه رأها ألهته عن الله ، قالوا – أي العلماء - : قال الله بعدها : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص:36] أي : لما ضحى بالخيل من أجل الله عوضه الله جل وعلا عن الخيل بالريح ، وهذا منحى قاله أكثر المفسرين ، وإن كان يبقى في إثباته بالكلية نظر . والعلم عند الله .

★ ★ ★ ★

# ﴿تتمة وقفات مع آيات الحج في البقرة ﴾

نأخذ درس آخر ، الأسئلة كافي ولله الحمد والمنة ، وهي تأخذ منحى إيماني وأنا لا أريده ، لكن كما قلت القضية من هذا المجلس المبارك فهم كلام الله ، فنأخذ آيات في الحج بما أننا على مقربة من الحج [1] .

---

[1] (1) من هنا إلى آخر الدرس تصرفت قليلا في التفريغ ؛ لأن الشيخ سيشرح كما قال : ( شرح مدرسي ) ، وهو مناسب لمن سمعه ، ولكن لا يناسب تفريغه حرفيا للقارئ ، فأبقيت على ألفاظ الشيخ ، وحذفت أسئلته – حفظه الله – للطلاب وكذلك تكرار الشرح لبعض الأمور. والله الموفق .

قال الله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ [البقرة:197] لم يذكر الله هنا أسماء الأشهر ، اكتفى بقول معلومات ، قال في قبلها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة:183] ثم قال : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ [البقرة:185] سماه ، لماذا سمى رمضان ولم يسم أشهر الحج ؟

الجواب : العرب ما كانت تعرف شيء اسمه صيام رمضان ، فعندما تقول : للناس صوموا ، هم لم يسبق أن يصوموا ، يصمون أي شهر ؟ أي يوم ؟ أي أسبوع ؟ فقال الله : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة:185] ، أما الحج قبل أن يبعث ﷺ كانت العرب تحج وتقف في عرفة في يوم 9 ، وترمي الجمار يوم 11 ويوم 12 ويوم 13 ، ويقفون في منى يوم ثمانية ، لكنهم يشركون مع الله غيره ، فبالنسبة للعرب كلهم يعرفون ما هي أشهر الحج ، لكن رمضان لم يكن لهم عهد بالصيام ، فلما ذكر الله المبهم عرَّفه ، قال : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ [البقرة:185] ، لكن هنا قال : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ [البقرة:197] ، هذه الحج في الإعراب هنا مبتدأ ، لكن هي في الأصل مضاف إليها اسم قبلها تقديره : زمن الحج ، وقت الحج أشهر معلومات ، لم قال الله : وقت الحج أشهر معلومات ؟

في أول الربع في نفس السورة قال الله جل وعلا : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ﴾ [البقرة:189] قال الجواب : ﴿ قُلْ هِيَ ﴾ أي : الأهلة ﴿ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ ، والهلال يأتي في العام اثنا عشر مرة ، فيظن الناس أن جميع الهلال أشهر للحج ، فهنا خصصها الله ، الإطلاق الموجود في آية ﴿ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ [البقرة:189] خصصه الله هنا قال : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ [البقرة:197] أي ليس كل الأهلة للحج .

قال : ﴿ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ [البقرة:197] ، كلمة أشهر جمع قلة ، وفي جمع القلة يختارون أفعُل، وفي جمع الكثرة يختارون فعول ، الآن لما تكلم الله عن أشهر الحج قال أشهر ؛ لأنها ثلاثة ، لما ذكر الله السنة قال : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ ﴾ [التوبة: 36] ، فعندما أجمع كلمة نجم جمع قلة أقول :

أنجم ، وعندما أجمع كلمة نجم جمع كثرة أقول : نجوم ، هنا يقول الله جل وعلا : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ [البقرة:197] معلومات يعني كل واحد يعرفها ، لكن العلماء مع ذلك اختلفوا في ما هي أشهر الحج ؟ على ثلاثة أقوال :-

القول الأول :- أن أشهر الحج شوال وذو القعدة وإلى التاسع من ذي الحجة ، وحجة هؤلاء قوية ، وهم يقولون إن الحج يفوت بفوات عرفة ، فهو يقول : لا يمكن أن نسمي اليوم العاشر من أشهر الحج ، وهو إذا فات التاسع لا حج له ، هذا مذهب الشافعي .

قال آخرون : إن الحج إلى يوم العاشر من ذي الحجة ؛ ودليلهم واضح ، قالوا إن يوم العاشر - على الصحيح – سماه الله في القرآن يوم الحج الأكبر ؛ وسماه بذلك لأن أكثر أعمال الحج فيه ، وهي رمي جمرة العقبة ، والنحر ، والحق أو التقصير ، ثم طواف الإفاضة ، وهي أربع عبادات لا تجتمع إلا في يوم النحر ، فهؤلاء قالوا : مستحيل أن يقول الله : ﴿ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ [التوبة:3] وتقولون ما هو من أشهر الحج !

والثالث : أنهم قالوا : شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله ؛ لأنهم قالوا : إن الجمع لا يكون أقل من ثلاثة .

قال الله : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ [البقرة:198] ، النبي ﷺ قال : "الحج عرفة" فعرفنا أن عرفة وعرفات اسم لمكان واحد ، مرة يقال بصيغة الإفراد ومرة يقال بصيغة الجمع ، يأتي السؤال لماذا سميت عرفة بعرفة ؟

قيل : لإن آدم عرف حواء فيها ؛ لأن آدم اهبط في جهة ، وحواء أهبطت في جهة ، وإبليس أهبط في جهة ، وعلى القول إن الحية أهبطت في جهة ، المهم أن آدم يقولون أنه التقاء بحواء في عرفة فعرفها ، هذا واحد .

والقول الثاني : إن جبريل  علم وعرف أبانا إبراهيم المناسك في عرفة ، فسميت بعرفة .

وقال آخرون – واختاره ابن عطية المفسر صاحب كتاب المحرر الوجيز من أمتع كتب التفسير ، فهو يقول - : إنه اسم وضعي ، يعني ليس له علاقة بأحداث ، وهذا أقرب .

الله يقول :  فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ  [البقرة:198] ، وخير من وقف في عرفة النبي  ، وكان قبلها في منى ، خرج من منى ، وفي ثلاث أماكن : في نمرة ، وفي عرنة ، وفي عرفة ، قال جابر  ( فوجد القبة قد ضربت له بنمرة ) ، نمرة قرية شرق عرفات ، وجد  من سبقه من الصحابة كبلال وأسامة المسئولون عنه ، نصبوا القبة – الخيمة – في نمرة ، قال جابر ( ثم أتى بطن الوادي ) أي : وادي عرنة ، فخطب وصلى في عرنة ، ثم قال جابر ( ثم أتى الموقف ) والموقف في عرفة ، فقال "وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف" ، ولم يقلها في نمرة ، ولم يقلها في عرنة ، فأصبح الموقف في عرفة .

قال الله هنا :  فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ  [البقرة:198] ، متى تكون الإفاضة من عرفات ؟

الأمة متفقة على أن الإنسان إذا وقف في عرفة في النهار ، ثم جلس إلى أن تغرب الشمس ، وبعد غروب الشمس توجه – أفاض – إلى مزدلفة إلى المشعر الحرام ؛ هذا أصاب السنة ، لكن ليست المسألة الآن فيمن أصاب السنة ، المسألة فيمن أخطأ ، كيف نحكم عليه ؟

لو أن شخصا وقف في عرفة بعد الزوال لكنه ، خرج من عرفة قبل غروب الشمس ، أما إنه لم يصب السنة هذا بالاتفاق ، لكن ما حكمه ؟

قال مالك – رحمه الله – إمام دار الهجرة : من خرج من عرفة قبل غروب الشمس وأتى مزدلفة فلا حج له ، لكن لم يقل أحد بقول مالك رحمه الله على جلالة قدر مالك ، حتى قال ابن عبد البر – إمام مالكي

معروف – قال : (ولا أعلم أحد وافق أبا عبد الله في هذا) ، هذا القول الأول .

القول الثاني – وهو قول الجمهور - : قالوا : إن حجه صحيح لكن يلزمه دم ؛ لأن الوقوف بعرفة إلى غروب الشمس واجب ، عندهم يجب أن يقف بعرفة ولو برهة من الليل .

القول الثالث : أن حجه صحيح ولا دم عليه ؛ وهؤلاء دليلهم وحجتهم حديث عروة ابن مضرس ، وعروة بن مضرس رجل من الصحابة من طيء – من حائل – جاء للنبي  بعد صلاة الفجر في مزدلفة ، قال : ( يا رسول الله إني أجهدت نفسي وأتعبت راحلتي ، ما من جبل إلا وصعدت عليه ) ؛ لأن هذه أول حجة ، طبعا النبي  أكمل الناس عقلا ، لو جلس يفصل هذا الجبل جئته ، وهذا الجبل ما جئته...إلى الصبح ، فقال  بعلمه وتعليمه للأمة قال : "من صلى معنا صلاتنا هذه" أي صلاة الفجر في مزدلفة "وكان قبل قد وقف بعرفة ساعة من ليل أو نهار فقد تم حجه وقضى تفثه " حمل الجمهور هذا الحديث على الإجزاء ، وتمسك بعض أهل التحقيق مثل شيخنا الأمين الشنقيطي – رحمه الله – إلى أن لو خرج قبل غروب الشمس أساء وأخطأ ، لكن لا شيء عليه ، لكن لا ينبغي لعاقل أن يجازف في مسالة خلافية كهذه قال بعض العلماء : لا حج عليه ويخرج قبل غروب الشمس .

 فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ  [البقرة:198] ، المشعر الحرام جبل في مزدلفة ، النبي عليه الصلاة والسلام أتي المزدلفة صلى فيها المغرب والعشاء جمع تأخير ، بأذان واحدة وإقامتين - على الأظهر - ، ثم اضطجع ولم ينقل أنه صلى بعدها ، ثم قام  فصلى الفجر في أول وقتها ، ليس قبل الوقت ، الصلاة قبل الوقت لا تجوز ، لكن أول وقتها ، ثم أتى المشعر الحرام وقال : "وقفت ها هنا وجمع- أي مزدلفة - كلها موقف" ، وأخذ يدعو إلى أن أسفر جدا ، قبل أن تشرق الشمس صلوات الله وسلامه عليه ، توجه

إلى منى فلما أتى بطن وادي محسر أسرع ؛ لأنها ديار عذاب ، حتى أتى منى فرمى جمرة العقبة بسبع حصيات .

الآن يوجد منى ، ويوجد مزدلفة ، ويوجد محسر ، ويوجد عرفة ، هذه أربعة ، تجتمع في أمور ، وتختلف في أمور :

منى مشعر وحرم ، ومزدلفة مشعر وحرم ، الفرق يأتي بين عرفة ومحسر ، عرفة مشعر لكنها ليست حرم ، حل ، ومحسر حرم ؛ لأنه بين مزدلفة ومنى ، لكنه ليس بمشعر .

لا يبقى الحجاج في مكان أكثر مما يبقون في منى ، في منى يوجد مسجد اسمه مسجد الخيف ، ومعنى الخيف هو إذا في جبل وفي عند الجبل وادي تجي جهة من الجبل نازلة قليلا ليست في أعلى الجبل وليست في الوادي هذه تسمى الخيف ، يقع مسجد الخيف جبل ثبير الأثبرة هذا فيه منحى منه ينزل لا يصل إلى الوادي ، في سفحه قبل أن ينزل إلى الوادي مسجد يسمي مسجد الخيف ، قال  "صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا" صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فالذي يصلي في مسجد الخيف يصلي في مسجد صلى فيه سبعون نبيا ، لكن يؤتى الناس من الجهل ، أنا أعرف خلطاء لنا وأقران وأحبة لنا في المدينة والله لسنا بشيء معهم على ما يقوله الناس فينا ، من دينهم وورعهم حقا لا يعرفهم أحد تقاة ، ويحج بعضهم كل عام ، ولا قط فكر أن يصلي في مسجد الخيف ، مع أن النبي  جميع صلواته في منى صلاها في مسجد الخيف .

السؤال الآن متى كان يرمي ومتى كان يصلي ؟

النبي  كان بعد الزوال يرمي ثم يصلي ، طبعا هذا الذي يريد أن يوافق السنة كاملة ، أما الجواز الأمر مفتوح من بعد الزوال إلى ما شئت حتى في الليل ، والناس يختلفون في القوة والضعف ، والذي

معه حريم ، والذي معه عجوز ، يختلفون اختلاف جذري وكله والدين سعة ، والدين يسر ، لكن أنا أتكلم كيف رمى نبينا  .

رزقنا الله وإياكم الفقه في الدين ، وصلى الله على محمد وعلى آله ، والحمد لله رب العالمين .

★ ★ ★ ★